ضوابط قبول ورد كلام الأقران

CONDITIONS OF ACCEPTANCE AND REJECTION OF THE WORDS OF ONE ERA SCHOLARS ABOUT EACH OTHER

1-DR. FARAZ UL HAQ
Assistant Professor, NED University of Engineering & Technology, Karachi
Email: drfarazulhaq@gmail.com

Dr Faraz ul Haq **"Conditions of Acceptance and Rejection of the words of One Era Scholars about each other"** Al-Raheeq Vol 1, No. 1 (July 29, 2022). 77-88

Journal	AL Raheeq International Research Journal
Journal homepage	https://alraheeqirj.com
Publisher	Al Madni Research Centre
License:	Copyright c 2023 NC-SA 4.0 www.alraheeqirj.com
Published online:	2022-07-29

Open Access

CC BY NC SA

AL-RAHEEQ IRJ
Vol. 1, No. 1 || July-December 2022 || P.25-38

ضوابط قبول ورد كلام الأقران

Conditions of Acceptance and Rejection of the words of one era scholars about each other

مستخلص البحث

كلام الأشخاص المعاصرين في بعضهم البعض يكون فيه نوع تجاسر أحيانا، وقد يدخل في بعضه نصرة حظوظ النفس أحيانًا، وهذه الحقيقة يتفق الجميع على اعتبارها، وقد تفطن لها علماء الجرح والتعديل، وراعوا اعتبار ذلك عند الكلام في الرواة جرحا وتعديلا، لأنه يترتب عليه أخذ حديث أو ترك حديث نُسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُمكن معرفة حال الراوي إلاَّ بكلام من عاصره فيه أو زامله، أو عاشره وحضر له، أو بجمع حديثه ومعارضته مع أحاديث غيره من الثقات، ومما لا شك فيه أن المحدثين بذلوا قصارى جهدهم في جمع كلام أئمة الحديث في نقلة السنة، ولم يكتفوا بمجرد نقل تلكم الأقاويل والأخذ بها مطلقًا، بل أرجعوا بعضه إلى بعض، وفحصوا ودقّقوا في محتواه، فرأوا أن بعض الأحيان يصدر من عالمٍ عارف بأسباب الجرح والتعديل كلامًا تقوم قرينة من القرائن الدالة أن هذا الكلام دافعه أمرٌ شخصيٌّ، وأنه غير نابع عن العدل التام، وهذا غير مستبعد فمن هنا ذكر العلماء قاعدة ذهبية، طارت بها الركبان، وهي: (كلام الأقران يطوى ولا يروى) إلا أن هذه القاعدة ليست على عمومها، بل لها أحوالٌ يؤخذ بها، وأخرى أنها تُترك، ومن هنا أردت جمع كلام أهل العلم المتعلق بضوابط قبول ورد كلام الأقران في بعضهم البعض، حتى يكون هذا الباب منضبطًا بضوابط علماء الإسلام، ويكون بذلك دفاع عن منهج المحدثين القائم بالعدل والقسطاس، وختمت البحث بذكر أبرز نتائج البحث، والتوصيات.

ABSTRACT

The words of contemporary people about each other have a kind of exaggeration sometimes, and some of them may include supporting the fortunes of the soul sometimes, and this fact is agreed upon by all, Scholars of Hadith have taken into account that when speaking about the narrators as Jarh and Ta'dil, because it entails taking a hadeeth Or leaving a hadith attributed to the Prophet ﷺ and it is not possible to know the condition of the narrator except by the words of those who lived with him in it or who accompanied him, or lived with him and served him, or by collecting his hadith and opposing it with the hadiths of other trustworthy people. The words of the imams of hadith in the shift of the Sunnah, and they were not content with simply transmitting those sayings and adopting them absolutely, but rather referred some of it to another, and examined and scrutinized its content, seeing that sometimes a scholar who knows the causes of wounding and modification comes out of words based on evidence that this speech is motivated by an order. It is personal, and that it does not stem from complete justice, and this is not excluded. Hence, the scholars mentioned a golden rule, and it is: (the words of the peers are folded and not narrated), except that this rule is not in general, rather it has conditions that are taken, and another that is left. Hence, I wanted to

collect the words of the people of knowledge regarding this topic, and I concluded the research by mentioning the most prominent results of the research, and recommendations.

Keywords: Zawabit-Qubuul-Rad-Aqraan.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن الله تعالى حفظ لهذه الأمة سنة نبيها ﷺ؛ قال الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون) [الحِجْر: 9]، ومن لازم حفظ القرآن الكريم حفظ السنة المشرفة، التي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع مع كتاب الله تعالى، حيث جاءت مبينة لمعانيه، مفصِّلة لمجمله، شارحة لأحكامه.

معلوم أنَّ الناس بطبيعتهم يختلفون، ويطرأ عليهم الأحوال المختلفة، فلربما يحصل من بعضهم كلاما في شخص معاصر له يكون في الكلام نوع جرأة وتحامل، فالعقلاء من الناس يفهمون هذه النفسية الإنسانية ويزنون الكلام المقصود بهذا المعيار، ولا يعطون لمثل هذا الكلام أكبر من قدره.

وهذه الحقيقة التي يتفق الجميع على اعتبارها، قد تفطن لها علماء الجرح والتعديل، هؤلاء العلماء الذين ينتسبون إلى أحد أشرف علوم الإسلام، إذ به يتميز صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعيفه، ومما لا شك فيه أن الكلام في رواة الحديث جرحاً وتعديلاً هو من باب النصيحة لله ورسوله، ويُعدُّ مزيّة لهذه الأمة، فلم تعتن أمة من الأمم قاطبة هذا الاهتمام بالتوثق من النصوص المعتبرة لديها كأمة الإسلام، وهذه من مزايا ديننا الحنيف، ومن دلائل صدقه وأنه باق إلى قيام الساعة.

ثم إن الكلام في الرّواة جرحا وتعديلا ليس أمرا هيّنا، لأنه يترتب عليه أخذ حديث أو ترك حديث نُسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُمكن معرفة حال الراوي إلاَّ بكلام من عاصره فيه أو زامله، أو عاشره وحضر له، أو بجمع حديثه ومعارضته مع أحاديث غيره من الثقات.

ومما لا شك فيه أن المحدثين بذلوا قصارى جهدهم في جمع كلام أئمة الحديث في نقلة السنة، ولم يكتفوا بمجرد نقل تلكم الأقاويل والأخذ بها مطلقًا، بل أرجعوا بعضه إلى بعض، وفحصوا ودقّقوا في محتواه، فرأوا أن بعض الأحيان يصدر من عالمٍ عارف بأسباب الجرح والتعديل كلامًا تقوم قرينة من القرائن الدالة أن هذا الكلام دافعه أمرٌ شخصيٌّ، وأنه غير نابع عن العدل التام، وهذا غير مستبعد إذ أن الإنسان ضعيف بطبيعته، ولا يسلم من السهو والزلل من عباد الله إلا الأنبياء والرسل، فمن هنا ذكر العلماء قاعدة ذهبية، طارت بها الركبان، وهي: (كلام الأقران يطوى ولا يروى) إلا أن هذه القاعدة ليست على عمومها، بل لها أحوالٌ يؤخذ بها، وأخرى أنها تُترك، ومن هنا أردت جمع كلام أهل العلم المتعلق بضوابط قبول ورد كلام الأقران في بعضهم البعض، حتى يكون هذا الباب منضبطًا بضوابط علماء الإسلام، ويكون بذلك دفاع عن منهج المحدثين القائم بالعدل والقسطاس.

ولأجل هذه الأمور وغيرها أردت المساهمة في البحث العلمي بكتابة هذا البحث، وجمع شتات هذا الموضوع، فأسأل الله التيسير والتوفيق، إنه قريب مجيب الدعوات.

خِطّة البحث

اشتمل البحث على مقدمةٍ، وخمسة مباحث، وخاتمةٍ؛ وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على بيان أهمية الموضوع، وخِطة البحث.

المبحث الأول: تعريف الأقران لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: مثال لرواية القرين عن القرين في الحديث.

المبحث الثالث: الأصل الذي درج عليه علماء الجرح والتعديل في كلام الأقران

المبحث الرابع: الأسباب التي تؤدي إلى كلام الأقران بعضهم في بعض.

المبحث الخامس: ضوابط قبول كلام الأقران ورده.

الخاتمة: خُتم بها البحث، وضُمِّنت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف الأقران لغة واصطلاحاً.

تعريف الأقران لغة واصطلاحاً:

الأقران لغة: جمع قِرن – بكسر القاف – وهو الكفء والنظير في الشجاعة والحرب، ويجمع على أقران[1].

والقرين هو المُصاحب، والاقتران: كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني[2].

والقرن: أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم[3].

الأقران اصطلاحاً: هم قوم متقاربون في السن والإسناد، أو هم المتقاربون في السن والأخذ عن الشيوخ.

قال الحاكم: وإنما القرينان إذا تقارب سنهما وإسنادهما[4].

ويعبر بعض المحدثين هؤلاء الأقران بأنهم أصحاب طبقةٍ واحدة.

قال الصنعاني: اعلم أن مرادهم بالأقران المتعاصرون في قرن واحد والمتساوون في العلوم[5].

([1]) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414، (337/13).
([2]) الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، بيروت، 1412، (ص410).
([3]) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، 1979، (51/4).
([4]) الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1977، (215/1).
([5]) الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح، ثمرة النظر في علم الأثر، 1996، (ص130).

المبحث الثاني: أمثلة لرواية القرين عن القرين في الحديث:

روى الإمام مسلم (٢٦١هـ) في "صحيحه" حديثا واحداً عن قرينه الإمام أبي زرعة الرازي (٢٦٤هـ) فقال: (حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم أبو زرعة، حدثنا ابن بكير، حدثني يعقوب بن عبد الرحمن، عن موسى بن عقبة، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك»)[6].

علّق النووي على الحديث قائلًا: (رواه مسلم عن أبي زرعة الرازي –أحد حفاظ الإسلام وأكثرهم حفظا– ولم يرو مسلم في "صحيحه" عنه غير هذا الحديث، وهو من أقران مسلم توفي بعد مسلم بثلاث سنين)[7].

ومثال آخر: قال الإمام أبو القاسم يوسف بن محمد بن أحمد المهرواني (المتوفى 468هـ)، الهمذاني في كتابه: "المهروانيات = الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب"، بتخريج الشّيخ الإمام أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغداديّ رحمه الله (المتوفى : 463هـ):

(أنا أبو سهل محمود بن عمر بن جعفر العكبري قال: حدثنا أبو صالح سهل بن إسماعيل بن سهل الطرسوسي قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن توبة الكيليني بمكة قال: حدثنا سعيد بن يحيى بن كثير أبو عثمان قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الأنصاري قال: حدثنا صفوان بن سليم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما: "إن الله لا يقبض

(6) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار احياء التراث، بيروت، 1997، (2097/4، رقم: 2739).

(7) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، شرح صحيح مسلم، دار احياء التراث، بيروت، 1392، (54/17).

العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا، فيسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا".

قال الخطيب: (هذا الحديث... يدخل في رواية الأقران بعضهم عن بعض؛ لأن صفوان، وهشاما: قرينان)[8].

والمقصود من ذكر المثالين هو بيان أن الأصل أن رواية القرين عن القرين معتبرة، وكان السلف يروي بعضهم عن بعض، فهكذا هو الحال في شهادة وكلام القرين في قرينه، إلا أن يظهر بقرينة ما أن الكلام كان دافعة أمرًا خاصًّا بين المتكلم والمتكلم عنه، فيتعامل معه معاملة خاصة.

المبحث الثالث: الأصل الذي درج عليه علماء الجرح والتعديل:

الأصل الذي درج عليه علماء الجرح والتعديل هو توثيق العدل الضابط وقبول روايته، ورد من فقد شيئاً منهما، وأن شهادة أهل العصر في أهل عصرهم معتبرة، فقد أجمع المحدثون أنه يشترط في الراوي شرطان أساسيان وهما العدالة والضبط، فالعدالة أن يكون الراوي مسلمًا بالغًا عاقلاً بعيدا عن الفسق، وخوارم المروءة .

والضبط: هو أن يكون الراوي غير مخالف للثقات ولا سيء الحفظ ولا فاحش الغلط ولا مغفلاً ولا كثير الأوهام

فإذا تحقق الأمران ليس لأحد ردهما إلا بقرينة صارفة.

(8) المهرواني، للإمام أبي القاسم يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المهرواني، الهمذاني، الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب، تخريج الشّيخ الإمام أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغداديّ رحمه الله، تحقيق، د. سعود بن عبد بن عمير بن عامر الجربوعي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – عمادة البحث العلمي – رقم الإصدار (41)، الأولى، 1422 هـ - 2002 م، (888/2).

جاء في "الرفع والتكميل": " قد صَرَّحُوا بِأَن كَلِمَات المعاصر فِي حق المعاصر غير مَقْبُولَة وَهُوَ كَمَا أَشَرنَا إِلَيْهِ مُقَيّد بِمَا إِذا كَانَت بِغَيْر برهَان وَحجَّة وَكَانَت مَبْنِيَّة على التعصب والمنافرة فَإِن لم يكن هَذَا وَلَا هَذَا فَهِيَ مَقْبُولَة بِلَا شُبْهَة فاحفظه فَإِنَّهُ مِمَّا ينفعك فِي الاولى وَالْآخِرَة "[9].

والعصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولذلك يقول الإمام الذهبي–وله نقول كثيرة في هذا الباب– "لسنا ندعي في أئمة الجرح و التعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفَس حاد فيمن بينهم وبينه شحناء وإِحْنَة[10]، وقد علم أن كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، ولا سيما إذا وثق الرجل جماعةٌ يلوح على قولهم الإنصاف"[11].

وهذا يفيد أن كلمات المعاصر في حق المعاصر غير مقبولة وهو كما أشرنا إليه مقيد بما إذا كانت بغير برهان وحجة وكانت مبنية على التنافس وحظوظ النفس.

ويقول أيضاً: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين[12].

ويقول–في ترجمة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى– "قلت: كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية، لا يلتفت إليه، بل يُطوى ولا يروى"[13].

([9]) اللكنوي، أبو الحسنات محمد بن عبد الحي، مكتب المطبوعات، بيروت، 1407، (ص431)

([10]) أي: الحقد في الصدر.

([11]) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، (40/7).

([12]) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال، دار المعرفة، بيروت، 1963، (251/1).

([13]) الذهبي، سير أعلام النبلاء (92/10).

وقال: "كلامُ الأقران يُطوَى ولا يُروَى، فإن ذُكِر تأمَّله المحدث، فإن وَجد له متابعًا، وإلا أَعرض عنه"[14].

وسيأتي استخراج بعض الضوابط من هذه العبارات.

ويقول ابن حجر: «.. وإن جرح بغير تحرز، فإنه أقدم على الطعن في مسلم بريء من ذلك، ووَسَمه بِمِيْسَمٍ سوءٍ يبقى عليه عاره أبداً، والآفة تدخل في هذا تارة من الهوى والغرض الفاسد، وكلام المتقدمين سالم من هذا غالباً– وتارة من المخالفة في العقائد وهُو موجود كثيراً، قديماً وحَديثاً»[15].

ويقول السخاوي: "ربما حصل غضبٌ لمن هو من أهل التقوى فبدرت منه بادرة، "فحبك الشي يعمي ويصم"[16]، لا أنهم مع جلالتهم ووفور ديانتهم تعمدوا القدح بما يعلمون بطلانه، حاشاهم وكل تقي من ذلك"[17].

فلذلك وضع العلماء قواعد وضوابط يعرف بها الكلام المقبول من المعاصر في عصريه من غير المقبول

.

المبحث الرابع: ضوابط قبول كلام الأقران ورده:

1. أن يكون الجارح القرين إماماً في الجرح والتعديل أهلاً للكلام فيه عارفاً بأسبابه.

(14) الذهبي، سير أعلام النبلاء (275/5).

(15) ابن حجر، أحمد بن علي بن أحمد، نزهة النظر، مكتبة السفير، الرياض، 1422، (ص258).

(16) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (24/36 ح 21694) وأبو داود في "السنن" (ح 5132) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف (التقريب: رقم 7974).

(17) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث، مكتبة السنة، مصر، 2003، (274/3).

قال ابن حجر: (ينبغي أن لا يقبل الجرح والتعديل إلا من عدل متيقظ، وإن صدر من غير عارف بالأسباب لم يُعتبر به) [18].

وكيف نتحقق من وجود هذه الشروط؟ فالجواب أنه من خلال الكتب المصنفة في ذلك، ومنها على سبيل المثال:

- ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للحافظ الذهبي.
- المتكلمون في الرجال للسخاوي.
- المزكون لرواة الأخبار عند ابن أبي حاتم للدكتور هشام بن عبد العزيز الحلاف.

وكذلك يعرف ذلك من خلال النظر في ترجمته، وما تتضمنه الترجمة من وصفه بالحفظ والإمامة والنقد.

2. أن يبين سبب الجرح إذا كان المجروح ممن ثبتت عدالته.

قال الإمام أحمد: كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحدٍ حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه[19].

وقال الإمام البخاري: ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيانٍ وحجة، ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجة[20].

وقال ابن عبد البر: والصحيح في هذا الباب أن من صحت عدالته وثبتت في العلم إمامته وبانت ثقته وبالعلم عنايته لم يلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة يصح بها جرحته على طريق الشهادات[21].

([18]) نزهة النظر (ص45 = 46).

([19]) مغلطاي، علاء الدين، إكمال تهذيب الكمال، مكتبة الفاروق، مصر، 2001، (262/9).

([20]) البخاري، محمد بن إسماعيل، القراءة خلف الإمام، مكتبة السلفية، (ص 14).

([21]) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، (1093/2).

وقال ابن حجر: الجرح مقدم على التعديل إن صدر مبيناً من عارف بأسبابه؛ لأنه إن كان غير مفسر لم يقدح فيمن ثبتت عدالته[22].

3. جرح الأقران أثبت من غيرهم، لأنهم أعرف بقرنائهم، فهي مقبولة إلا إذا علم بقرينة الحال تحامل الجارح على من جرحه، سواء لأجل الدنيا أو مناصب أو خطأ في فهم.

ذكر ذلك الشيخ مقبل بن هادي الوادعي[23].

فإذا ثبت شيء من ذلك ينبغي أن يتأنى في كلامه ويتأمل، ولذلك يقول الإمام الذهبي: كثير من كلام الأقران بعضهم في بعض ينبغي أن يطوى ولا يروى ويطرح ولا يجعل طعناً، ويعامل الرجل بالعدل والقسط[24].

وهذا القيد من الإمام الذهبي –أي كثير من كلام الأقران– يفيد عدم الإطلاق في الرد، بل هناك أئمة تكلموا في معاصريهم من غير تحامل، وبينوا سبب جرحهم، فأمثال هؤلاء يؤخذ بقولهم، بل الأخذ به أولى من الأخذ بكلام غيرهم، لأنهم أعرف بحال من تُكلم فيه.

المبحث الخامس: الأسباب التي تؤدي إلى كلام الأقران بعضهم في بعض.

لعل من أهم الأسباب المؤدية إلى كلام الأقران بعضهم في بعض الذي لا وجه لقبوله ما يلي:

1. الاختلاف في المذهب:

---

(22) المصدر السابق.

(23) الوادعي، مقبل بن هادي الوادعي، المقترح في أجوبة أسئلة المصطلح، دار الآثار، 2004، (ص 87).

(24) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق، مكتبة المنار، 1986، ص 46 .

معلوم أن عصر الرواية تختلف معالمها من قرن إلى قرن، وانتشرا في بعض القرون البدع والمخالفات، وأهل العلم عندهم تفصيل في التعامل مع رواية من رمي ببدعة، والمعيار الأساسي عندهم هو العدالة والضبط، فمن هنا حصل من بعضهم الكلام في آخر بدافع الاختلاف في المذهب.

ومن ذلك قول الشعبي حينما سئل عن النخعي: ذاك الأعور الذي يستفتي بالليل ويجلس يفتي الناس بالنهار، وقال النخعي عن الشعبي: ذلك الكذاب لم يسمع من مسروق شيئاً.

قال ابن عبد البر: معاذ الله أن يكون الشعبي كذاباً، بل هو إمام جليل، والنخعي مثله جلالة وعلماً وديناً . . . وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي رضي الله عنه وتفضيله له على غيره، ومن ههنا – والله أعلم – كذبه الشعبي، لأنه يذهب إلى تفضيل أبي بكر رضي الله عنه وإلى أنه أول من أسلم وتفضيل عمر رضي الله عنه[25].

2. الحسد:

وهو خلق مذموم، ولكن السلامة منه في غاية الصعوبة، وهو دافع كبير للكلام بين الأقران.

والحسد مركوزٌ في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحدٌ من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ثم منهم من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شرُّهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه.

ذكر هذا المعنى الحافظ ابن رجب الحنبلي –رحمه الله–[26].

([25]) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (1100/2).

([26]) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، دار الرسالة، 2001، (260/2).

ومن أمثلته التي ذكرها العلماء هو كلام من تكلم في ابن حبان من أقرانه، قال الحاكم: وأبو حاتم كبير في العلو، وكان يحسد لفضله[27].

ومثاله الشهير هو ما كان بين الإمام مالك ومحمد بن إسحاق، قال محمد بن إسحاق: هاتوا علم مالك فأنا بيطاره، ورد عليه مالك بقوله: ذاك دجال من الدجاجلة، نحن أخرجناه من المدينة . وكذلك طعن ابن إسحاق في نسب مالك بقوله: إنه مولى لبني تيم قريش، فكذب مالك ابنَ إسحاق لأنه كان أعلم بنسبه نفسه، وإنما هم حلفاء لبني تيم في الجاهلية[28].

وقد سأل بعضهم البخاري عما بينه وبين محمد بن يحيى، فقال البخاري: كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم، والعلم رزقُ الله يعطيه مَن يشاء[29].

3. الغضب.

ومن أمثلته ما كان بين النسائي وأحمد بن صالح المصري، قال العقيلي: كان أحمد بن صالح لا يحدث أحداً حتى يسأل عنه، فلما أن قدم النسائي مصر جاء إليه وقد صحب قوماً من أهل الحديث لا يرضاهم أحمد، فأبى أحمد أن يأذن له، فكل شيء قدر عليه النسائي أن جمع أحاديث قد غلط فيها أحمد بن صالح، فشنع عليه بها[30].

قال الذهبي: (أَمَّا كَلامُ النَّسَائِيِّ فِيهِ -يَعنِي: أَحْمَدَ بنَ صَالِح- فَكَلامُ مَوتُورٍ؛ لأَنَّه آذَى النَّسَائِيِّ، وَطَرَدَهُ مِن مَجلسه، فقال فِيهِ: لَيسَ بِثِقَةٍ)[31].

([27]) ابن حجر، أحمد بن علي بن أحمد، لسان الميزان، دار البشائر، (121/5).
([28]) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (1102/2).
([29]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (83/11).
([30]) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (1100/2).
([31]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (83/11).

4. الاختلاف في المناهج التي سلكها أحدهما وارتضاها وذمها الآخر.

وذلك ككلام حماد بن أبي سليمان الذي نهج مدرسة الرأي في علماء أهل الحجاز الذين سلكوا مدرسة أهل الحديث، قال حماد مخاطباً أهل الكوفة: قد سألتهم فلم يكن عندهم شيء، والله لصبيانكم أعلم منهم، بل صبيان صبيانكم[32]، والله أعلم.

خاتمة بذكر نتائج البحث:

1. الأصل أن كلام الأقران في بعضهم البعض مقبول، كما هو الحال في رواية الرجل عن معاصر له.
2. كلام الأقران في بعضهم البعض بدافع الغيرة والتنافس أمر معلوم لا يمكن إنكاره، وقد ذكر الذهبي أنه يمكن جمع كراسة للحكايات الواردة حول هذا الأمر.
3. كلام الأقران لا يطوى مطلقا، ولا يؤخذ مطلقا، بل يعتبر به، ويقارن بأقوال بقية الأئمة.
4. ذكرتُ عددًا من الأسباب الداعية إلى مثل هذا الكلام.
5. ذكرت عددًا من الضوابط في معرفة كيفية التعامل مع كلام الأقران في بعضهم البعض.

هذا والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)

(32) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (1100/2).